الفكر المغاربي وفعل الترجمة
من التبعية للأخر الى التأصيل الهوياتي عند طه عبد الرحمن

Maghreb thought and the act of translation: from dependence to the other to the rooting of identity in Taha Abdurrahman

شويني علي [1*]، بدة فوزية [2] زموري العياشي [3]
[1] جامعة وهران2 محمد بن احمد
[3،2] جامعة8 ماي 1945 قالمة

****

تاريخ الإرسال:2019/10/17 تاريخ القبول: 2019/11/23 تاريخ النشر: 30 /2020/01

ملخص:
تعد الترجمة من بين الوسائل المعتمد عليها في مجال العلم والفلسفة فهي اداة للتحاور بين مختلف المعارف بمختلف اللغات حتى اضحت ضرورة لا يمكن الاستغناء عليها بل هي اداة فعالة تساهم في تطوير العلوم من خلال الانفتاح على ما توصلت اليه البلدان الاجنبية ومحاولة الاستفادة منه، فاذا كانت الترجمة من قبل كفعل تقتصر على ترجمة النصوص من لغة الى لغة اخرى فأنها في الوقت الراهن اصبحت بحد ذاتها تخضع الى الدراسة من قبل المفكرين والباحثين وذلك بمراجعة المبادئ والاسس التي تستند عليها الترجمة مع ضرورة تقييدها بشروط من اجل الارتقاء بها و جعلها علم دقيق .
ان الترجمة من بين الاساليب التي انتشرت منذ عصر النهضة في الوطن العربي خاصة في المغرب العربي حيث ذهب البعض من المفكرين الى انه لا سبيل للنهوض بالوطن العربي الا من

[*]1- الباحث شويني علي، طالب دكتوراه، chouiniali21061987@gmail.com ،جامعة وهران2، تخصص فلسفة إلاسلامية وحضارة معاصرة، مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية في الجزائر
*3،2 ، طلبة دكتوراه جامعة 8 ماي 1945 قالمة

خلال الاحتكاك بالغرب والاستفادة من ما توصل اليه من معارف وعلوم، فكانت الترجمة بذلك هي الاداة التي جعلت العرب يتعرفون على انجازات الغرب وهذا الفعل (فعل الترجمة) لقي اهتمام العديد من المفكرين المغاربة الذين كان لكل منهم طرح مختلف، ومن بين هؤلاء نذكر المفكر المغاربي طه عبد الرحمن الذي سعى الى البحث في مفهوم الترجمة وتحديد الياتها ومستوياتها وذلك بهدف تحويل الترجمة من مجرد اداة تجعل العرب في تبعية الى الغرب الى وسيلة تأصيل للهوية، حيث يقول طه عبد الرحمن عن عمل المترجم:"ليس هو توسيع الامكانيات الفكرية للذات بقدر ما هو معرفة الاخر في خصوصيته الدلالية".

الكلمات المفتاحية: - الترجمة ؛ الفكر المغاربي ؛ الاخر ؛ الذات ؛ الهوية.

Abstract:

Translation is one of the methods used in the field of science and philosophy. It is a tool for dialogue between types of knowledge in different languages. It is an indispensable tool that contributes to the development of sciences by opening up to foreign countries discoveries and trying to benefit from them. Translation, as an act, was limited to the translation of texts from one language to another, but ,currently, it is itself a subject to study by thinkers and researchers, by reviewing the principles and foundations on which the translation is based, with a necessity to restrict conditions to upgrade and make it an exact science.

Translation was one of the methods that have spread since the Renaissance in the Arab world, especially in the Maghreb, where some scholars claimed that there was no way to promote the Arab nation without friction with the West and benefit from the knowledge and science that the West had. Thus, translation was the tool that made Arabs know about the achievements of the West and this act (the act of translation) has attracted the attention of many Maghreb thinkers, each of whom had a different idea. Among these scholars is the Maghreb thinker Taha Abdurrahman, who sought to study the concept of translation and determine its mechanisms and levels, to change the role of translation from a tool that makes Arabs in a dependency on the West to a means of rooting identity. Taha Abdurrahman claims that the job of a translator: “is not the expansion of the intellectual potential of the self as much as the knowledge of the other in his semantic peculiarity."

Key words: Translation , Maghreb Thought , Other , Self – Identity

مقدمة:

تعد الترجمة من بين القضايا التي كان لها صدى كبير في الفكر الفلسفي المعاصر خاصة في الفكر العربي، حيث نالت اهتمام جل المفكرين العرب نظرا للتأثير الذي تلعبه في تكوين فكرهم و تشييد فلسفتهم، لأنها كانت تعد اداة لا بد منها من اجل الانفتاح على الاخر من جهة وتحقيق الرقي الفكري والثقافي من جهة أخرى غير ان هذا الانفتاح ادى الى بروز مسائل لا تقل اهمية عن الترجمة في حد ذاتها و من بين هذه المسائل الناتجة عن فعل الترجمة نجد سؤال الهوية، فالترجمة في هذه الحالة سلاح ذو حدين لأنها مكنت العربي من التعرف على ثقافة الآخر، كما انها تعد وسيلة خطيرة لأنها تؤدي الى التبعية والانغماس في ثقافة الاخر مما يترتب عنه التخلي عن الثقافة الخاصة لصالح ثقافة الاخر .

لقد تطرق الفكر المغاربي الى مسالة الترجمة، وحاول ان يحدد ابعادها وتأثيراتها خاصة في مجال الثقافة التي تعد لب وجوهر هويته، ذلك لان الترجمة لا تساهم في نقل العلوم والمعارف فقط بل تنقل ايضا ثقافة الشعوب الاخرى وبالتالي تصنع من خلال ذلك حوار بين الثقافات التي تعد المثاقفة خير مثال على هذا الحوار وأفضل دليل على التأثر الناجم عن الترجمة.

فالطرح المغاربي لفعل الترجمة يعد طرح لمسالة الخصوصية والهوية وكشف عن قيمة الترجمة ورسم لمسار الذي يمكن من خلاله تفعيل دور لترجمة في اثراء الفكر المغاربي دون ان يفقد خصوصيته وهويته ويمكنه من التحرر من التبعية للآخر، وهو ما حاول ان يقوم به المفكر المغاربي طه عبد الرحمن من خلال دراسته لواقع الترجمة في الفكر المغاربي وكيفية توظيفها كأداة تساهم في الرقي بهذا الفكر دون ان تكون سببا في اضمحلاله لصالح ثقافة اخرى، فالترجمة وسيلة تمكن من اثبات الذات بقدر ما تحقق الانفتاح على الاخر غير ان هذا لا يمكن ان يتحقق إلا من خلال اضفاء الروح العربية الاسلامية على الترجمة هذه الروح هي التي تتجلى فيها الهوية العربية الاسلامية وعليه ما مكانة الترجمة في الدراسات المغاربية ؟

-كيف ساهمت هذه الترجمة في تشكيل الفكر المغاربي ؟

-ما هو موقف طه عبد الرحمن من الترجمة ؟

-كيف وظف الترجمة كوسيلة في اثبات الهوية بدلا من ان تكون سببا في ضياعها ؟

اولا - مكانة الترجمة في الفكر المغاربي:

الترجمة من بين المواضيع التي نالت اهتمام الفكر العربي بصفة عامة والفكر المغاربي بصفة خاصة حيث نجد ان هذا الاخير نظر الى الترجمة على انها اداة ضرورية و وسيلة فعالة تمكن المفكر العربي من تجاوز الكثير من الصعاب وايضا تقدم له المعارف التي تمكنه من تحقيق نهضته وتكشف له عن الاليات التي جعلت الاخر الغربي يتقدم و يحقق التطور على كافة الاصعدة، لذا " توسع نطاق دراسات الترجمة قوة و حيوية في التسعينيات في العالم وفي الوطن العربي، بفضل الادراك المتزايد لأهمية الدور المنوط بالترجمة، وبالمترجم الفرد "[1]

غير ان معظم المفكرين المغاربة يجمعون على ان الترجمة اول ما ظهرت اقترنت بالجانب الفلسفي اي ان الترجمة كان ظهورها ناتج على اهتمام العرب بالفلسفة، من خلال ترجمة النصوص الفلسفية التي تكشف بدورها عن المستوى الثقافي الذي بلغته الامم والشعوب لان ترجمة النص تمكن من التعرف على التفكير السائد لديهم.

ان الترجمة في الفكر المغاربي تسعى الى تقديم المعارف التي بلغتها الشعوب الاجنبية للفرد العربي في شكل واضح وقابل للفهم وفي هذه الحالة فان الترجمة " تسعى ان تضع بين يدي القارئ العربي امهات النصوص، فهي اذن لحظة ممهدة لكل تفلسف، ما تهدف اليه هو ايجاد النص في لغة عربية"[2] حتى يتمكن القارئ العربي من التفاعل معه وممارسة فعل التفلسف والتفكير فيه، ومن ثم تصبح الترجمة جسر ينتقل من خلاله الفرد من ثقافته الى ثقافة غيره دون ان يجد صعوبة في التعامل معه .

من بين المهتمين بالترجمة في الفكر المغاربي نجد عبد السلام بنعبد العالي الذي حاول ان يقدم دراسة مستفيضة من اجل ان يكشف عن الدور الذي تلعبه الترجمة في صنع التفكير العربي وبناء الفلسفة العربية، فنظر الى الترجمة على ان لها دور ثقافي لا يمكن انكاره حيث يقول في هذا الصدد " الترجمات على علاتها تواكب جدالا ثقافيا عاما، ترجمنا بعض نصوص ديكارت، إلا ان ذلك كان يدخل في سياق انشغال ثقافي لم

---

[1] - محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة مدخل الى مبحث دراسات الترجمة، الشركة العالمية للنشر – لونجمان، مصر، ط 1، 2003، ص 254.

[2] - عبد السلام بنعبد العالي، رهانات الفلسفة العربية المعاصرة، ندوات ومنظمات، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ط 1، 2010، ص 347.

يكن ينحصر في مجال الفلسفة وانما كان يطال ميدان الادب ومنهج دراسته"[1]وبهذا يمكن القول ان اول وظيفة للترجمة في الفكر المغاربي هي تحقيق الانفتاح الثقافي، لكن هذا الانفتاح لا يلغي التأثير الفلسفي الذي تحدثه الترجمة في عقول المغاربة.

يرى عبد السلام بنعبد العالي ان الترجمة لا تحقق الانفتاح فقط بل لها القدرة على تشكيل أفكارنا، لذا لا يجب ان تكون علاقتنا بالترجمة قائمة على الفضول فحسب بل لابد من توظيفها من اجل تحقيق الانفتاح الفكري والثقافي معا حيث يقول " فمادامت علاقتنا بتلك النصوص الكبرى علائق لا تتعدى الفضول المعرفي، فإننا سنظل نتوهم ان تملك تلك النصوص يتحقق بمجرد نقلها الى لغتنا دون بذل جهد متواصل لانفصالنا عنها، وإذكاء حدة التعارف بيننا و بينها "[2]

اي ان الترجمة في هذه الحالة لا يعني امتلاك النص بل هي انفتاح على النص يمكن من خلاله للقارئ ان يعيد التفكير فيه ومن ثم يمارس فعل التفلسف وبهذا فان عبد السلام بنعبد العالي يذهب الى انه" لا يمكن الفصل بين لحظتين: لحظة اعداد النص وترجمته، ثم لحظة استخدامه والتفكير فيه، فإذا كان معظم الفلاسفة المعاصرين مترجمين، فليس ذلك سعيا منهم الى توفير نصوص وإنما وعيا منهم ان ترجمة النصوص الفلسفية وإعادة ترجمتها من صميم الممارسة الفلسفية"[3]. و بهذا تتحول الترجمة الى فلسفة يمكن ممارسة التفلسف في نطاقها وتحويلها الى مجال للتفكير .فتنتقل الترجمة بذلك من اللامفكر فيه الى المفكر بها، اي ان ترجمة النصوص تفتح امكانية التفكير في مواضيع اخرى وكان الترجمة تحيل القارئ الى ما لم يتم التطرق الى التفكير فيه من قبل وبالتالي يكشف من خلالها القارئ على ما لم يتم التوصل اليه في النص الاصلي.

اما هاشم صالح فقد اعتبر ان الترجمة تتحكم في مصير الفكر العربي اي انه لا يمكن تحقيق النهضة العربية إلا بالاعتماد على الترجمة لأنها تمكن المفكر العربي من مسايرة التطورات الفكرية والفلسفية التي وصلت اليها الحضارات الاخرى وبالتالي فإنها تجعله دوما على اطلاع مستمر بهذه التطورات بل ان الترجمة عند هاشم صالح تمثل

[1] - عبد السلام بنعبد العالي، رهانات الفلسفة العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 346.
[2] - المرجع نفسه، ص 349.
[3] - المرجع نفسه، ص 347 .

الرهان الذي يجب ان تراهن عليه الفلسفة العربية اذا ارادت النهوض حيث يقول " اكاد أراهن على ان نهضة العرب المقبلة سوف تتوقف الى حد كبير على مدى نجاح مشروع الترجمة او فشله، وكلنا يعلم مدى الدور الذي لعبته الترجمة في العصر الكلاسيكي وكيف انها كانت تقع في الصميم من المشروع الحضاري العربي الاسلامي[1]، وعليه اذا كانت الترجمة الكلاسيكية سببا في تقدم الفكر العربي في الماضي فإنها ستكون كذلك سببا في تقدم الفلسفة المغاربية في الزمن الراهن، وبالتالي فان ممارسة الترجمة يكون لها ابعاد عدة منها الانفتاح الحضاري والثقافي وكذلك المعرفي وأيضا تساهم في تطوير اللغة العربية وتحديثها حيث تصبح هذه اللغة قادرة على مواكبة المفاهيم والمصطلحات الحديثة واستيعاب كل العلوم والمعارف .

يرى هاشم صالح انه لا ينبغي رفض الترجمة، فكل رفض للترجمة يساهم في تخلف الامة العربية ويمنعها من التقدم والتطور وبلوغ الحضارة والتحديث حيث يقول" العواقب المترتبة على مواقف الرفض والجمود بحجة المحافظة على الذات التاريخية سوف تكون وخيمة فعلا "[2]

وبهذا فان الترجمة لا تهدد هوية الامة العربية بقدر ما تساهم في تطويرها وإما رفضها بحجة كونها تهدد الهوية فهذا امر مرفوض في حد ذاته وهو ما اكده ايضا شوقي جلال عندما ارجع تخلف المجتمعات العربية لضعف فعل الترجمة فيها حيث يقول "ان مشكلة الترجمة في العالم العربي هي تجسيد لازمة التخلف العلمي والتكنولوجي والاجتماعي اي ازمة مجتمعات غير انتاجية "[3] وهذا الوضع انعكس سلبا على بقية المجالات الاخرى كالتعليم والثقافة وعلية يمكن القول ان الترجمة لو تمت بشكل صحيح فإنها ستقود الى تطور الامة وتزيدها معرفة بذاتها دون ان تنحل في هوية الشعوب الاخرى.

---

[1] - محمد اركون، الاسلام، اوروبا، الغرب رهانات المعنى وارادات الهيمنة، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط 2 ، 2001 ، ص20.

[2] - محمد اركون، من فيصل التفرقة الى فصل المقال – اين هو الفكر الاسلامي المعاصر؟، ترجمة : هاشم صالح ،دار الساقي ، بيروت ، ط 2 ، 1995 ، ص 223.

[3] - شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي الواقع والتحدي في ضوء مقارنة احصائية واضحة الدلالة، سلسلة دراسات الترجمة ، العدد 1423 ، المركز القومي للترجمة ، ط 1 ، 2010 ، ص 78

ثانيا / فعل الترجمة والمثاقفة :

تعد الترجمة من بين الاليات التي تقود الى الانفتاح على الاخر خاصة في الجانب الثقافي، تتمكن من خلالها الشعوب على التعرف على ثقافات بعضها البعض من خلال الاعتماد على اللغة التي تعد " شرطا اساسيا لوجود الثقافة، لكون الثقافة تتمتع ببنية شبيهة ببنية اللغة "[1]، فاللغة في هذه الحالة هي الحامل للثقافة كما انها تمثل لب الثقافة فلا يمكن الحديث عن الثقافة إلا من خلال وضعها في اطارها اللغوي ، و وعليه تصبح معرفة ثقافة الاخر رهينة بمدى معرفتنا بلغته، اي ان معرفة لغة الاخر تقود الى معرفة ثقافته ذلك لان " الثقافة هي الجسد واللغة هي قلبه، وينتج من التفاعل بينهما استمرار طاقة الحياة "[2]فلا يمكن للمترجم ان يترجم نص ما من لغته الاصلية الى اللغة المترجم اليها دون مراعاة البعد الثقافي الذي يحمله هذا النص .

ان الاهتمام بالترجمة في الفكر المغاربي في العصر الراهن يكشف لنا عن اللقاء الجديد القائم بين دول البحر الابيض المتوسط حيث يعد هذا اللقاء الثالث في منطقة البحر المتوسط ليبين لنا ذلك الحوار الثقافي والحضاري القائم "بين ثقافات المجتمعات المتوسطية في محيط عالمي متداخل مما سيكون له اثره في تطورها وتنافسها وتحديد السيادة لبعض اطرافها"[3] وبالتالي تكون الترجمة هي الاداة المسؤول عن تفعيل هذا اللقاء والحوار من خلال التبادل الثقافي بين لغات البحر المتوسط

ان منطقة البحر الابيض المتوسط تعد مجال حيوي لممارسة فعل الترجمة وذلك يرجع بالدرجة الاولى للموقع الاستراتيجي لدول البحر الابيض المتوسط، لان وجود مثل هذا الحوض يسهل عملية الانفتاح على الاخر وهذا عزز من قيمة الترجمة التي اصبحت "وسيطا ثقافيا تنقل الوجه الحضاري الصحيح للامة، وتفتح باب فهم معارف التاريخ وثقافة الطرف الاخر وبالتالي التفاعل والحوار معه"[4] فلقد ساهمت الترجمة في

---

[1] - بسام بركة، الترجمة الى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، مجلة تبين، العدد لاول، فصلية، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ، صيف 2012، ص 12 .

[2] - سوزان باسنت، دراسات الترجمة، ترجمة: فؤاد عبد المطلب، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ص 38.

[3] - شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي الواقع و التحدي في ضوء مقارنة احصائية واضحة الدلالة، ص 212 .

[4] - سارة بوزرزور، الترجمة وفعل المثاقفة، بحث اعد لنيل شهادة الماجستير، قسم الترجمة، جامعة وهران، 2009 / 2010 ، ص 93.

الماضي في نقل تراثنا الحضاري والثقافي الى العالم الغربي من خلال احتكاكه بالحضارة الاسلامية عن طريق حوض البحر الابيض المتوسط.

ان الترجمة هي الاداة التي تناهض الانغلاق الفكري وتخرج الامة والمجتمع من حالة الضياع والسبات الذي تعيشه، حيث يقول احمد الشيخ "الترجمة وسيلة من وسائل التفاهم والحوار وقد تعطيني دفعة للإبداع والتأليف، ونحن في عالم متشابك ومعقد،ولا بد من ان نعرف ماذا يحدث في العالم، والترجمة وسيلة لكي نعرف الاخرين"[1]

فبالترجمة تنتعش الحضارة وتنفتح على غيرها فتصبح قادرة على بناء ذاتها وانتاج مفاهيم وتصورات تساهم في اثراء الحضارة الانسانية وبالتالي يمكن القول"ان ازدهار الترجمة كان دائما رديفا لحركة النهوض الاجتماعي، وملازما للتقدم المطرد للمجتمعات، مما يكشف عن علاقة طردية واضحة وحاسمة بين النهضة من ناحية والترجمة من ناحية أخرى.

لقد ارتبط مفهوم المثاقفة بالترجمة وهو ما يعكس التأثير الثقافي الذي تنقله الترجمة، اي ان الترجمة لا تنقل النصوص الاصلية بمعزل عن ثقافتها بل هي تحمل معها هذه الثقافة وهو ما ادى الى التمازج بين الثقافات والحضارات، فأصبح الانسان او الفرد في الوطن العربي او في اي مكان اخر له القدرة على التعرف على ثقافة الاخر، ومن ثم اغناء ثقافته والاستفادة من هذه ثقافة الاخر و هو فعلا ما نلمسه في الفكر المغاربي الذي اعلى من قيمة الترجمة واكد على اهميتها من اجل تحقيق نهضة على كافة المستويات، فكل ترجمة تؤدي الى المثاقفة كما انها تؤدي الى تطوير اللغة العربية من خلال ايجاد مصطلحات جديدة تتماشى و روح العصر وعليه " تتحول الترجمة الى وسيط ثقافي بين ثقافتين مختلفتين، هدفه تطوير واغناء المرجعية الثقافية "للغة الوصول " دونما فقدان " لأصالة " الذات المترجم اليها "[2]

---

[1] - احمد الشيخ ، من نقد الاستشراق الى نقد الاستغراب المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية ، القاهرة، ط 1 ، 2000 ، ص 268 .

[2] - المرجع نفسه، ص 121.

ان المثاقفة التي كانت نتيجة حتمية عن الترجمة ادت الى طرح مسالة ذات اهمية كبيرة تمثلت في مشكلة الهوية لان هذه الاخيرة تبنى على الثقافة والترجمة ساهمت في تداخل الثقافات، فأصبح من الضروري الحديث عن مسالة الهوية في ظل الانفتاح الحضاري و الثقافي الذي كان فيه للترجمة دور كبير، لذا يجب مراعاة الجانب الثقافي للحضارة المترجمة، اي ان تكون الترجمة تتماشى مع ثقافة المجتمع وتراعي خصوصياته الثقافية دون ان تلغي ثقافة الاخر " واستثمار ما لديه من قيم و معطيات انسانية وحضارية، والى تنمية كيانها الثقافي بشكل خلاق وغير مضر بمقومات الهوية القومية وثوابتها "[1] وإلا تحولت الترجمة الى اداة تقمع الهوية و تساهم في الغائها لصالح هويات اخرى .

ثالثا / الترجمة والتبعية للآخر:

يعد الحديث عن الاخر من بين اهتمامات الفكر اعربي الحديث والمعاصر، فلا يمكن انكار هذا الاخر ما دمنا نتعامل معه فقد دخلنا معه منذ القدم في علاقة اخذ وعطاء وهو فعلا ما نلمسه في الترجمة التي كان لها دور كبير في تحقيق الانفتاح على الاخر لكن هل هذا الانفتاح يتطلب التبعية ؟ هل هذا الانفتاح يقود الى ذوبان الانا العربية في الاخر الغربي ؟ هل تستطيع الترجمة ان تحافظ على الهوية العربية في ظل التداخل الثقافي الذي نتج عنها ؟ ان هذه التساؤلات اصبحت تفرض نفسها على المفكر العربي والمغاربي فلا بد من البحث عن حل لهذه المسالة التي بدأت تسبب الارق للعقل العربي .

لقد كان للترجمة الفضل الكبير في تقريب المسافات بين الحضارات والثقافات حيث اصبحت صورة الاخر واضحة في ذهن العربي وكذلك الامر نفسه مع الانا بالنسبة للآخر الغربي ففي هذه الحالة لا يمكن ان نعتبر الترجمة اداة لطمس الهوية بقدر ماهي وسيلة للتعريف بالآخر " لأنه من خلالها يتعرف الناس في هذا البلد الى عادات الناس في ذلك البلد، الى اعرافهم ،وتقاليدهم وافكارهم، وآدابهم، وسلوكهم، وتاريخهم، بل حتى تضاريسهم، وجغرافيتهم "[2] وهذا ما يجعل من الترجمة وسيلة فعالة في التعريف بالآخر .

---

[1] - سارة بوزرزور، الترجمة و فعل المثاقفة، المرجع السابق، ص 122.

[2] - المرجع نفسه، ص 121.

ان الترجمة في حقيقتها ليست نقل معارف وعلوم فقط كما يتبادر الى ذهن البعض بل هي في جوهرها تواصل مثمر بين شعوب وحضارات مختلفة يسعى دوما الى تحقيق الرقي الفكر والانساني ويهدف الى توثيق الصلات بين الثقافات، وبهذا فان غاية الترجمة لا يمكن ان تكون الغاء هوية الشعوب الاخرى الضعيفة لصالح الشعوب المتقدمة حضاريا، فألانا لا يمكن ان تعي ذاتها إلا بوجود الاخر ولا يمكن ان تتعرف على هويتها إلا في حضرة الاخر والترجمة تتيح للانا الاليات التي تمكن من تحقيق هذه المعرفة ثم استثمارها في تحقيق النهضة العربية التي لا يمكن ان تتجسد إلا " اذا اقترن نشاط الترجمة الموحد والمنسق مؤسسيا برؤية عربية واضحة الاهداف والفكر، فاعلة ومبدعة ومنتجة، اي اقتران بإستراتيجية تنموية عربية، وبدون ذلك سيكون كل نشاط في مجال الترجمة حرثا في البحر "[1] بإمكان الترجمة ان تغير مسار العلاقات القائمة بين الانا والأخر حيث تقودها من مجال التعصب واحتقار الاخر الى مجال الاحترام والاعتراف بوجوده وبهويته وتعمل على ارساء قيم الاخاء والتسامح بدل من قيم الصراع والعنف لان الترجمة في صميمها " تجنح الى تدعيم التواصل الاخلاقي مع الاخر مع ثقافته، مما يساهم في تجاوز التعصب والعصبية، ونزعة التمركز والعدوان، ناهيك عن تكريس الانفتاح على الاخر واحترام ثقافته"[2]

وبهذا فان هذا الانفتاح لا يعني التبعية للآخر ولا فقدان الذات بقدر ما هو بناء للذات وتطوير لها خاصة في عصر العولمة الذي اتاح هو الاخر للإنسان العربي القدرة على التعرف على الاخر .

ان الترجمة تلعب دور كبير في تغذية العلاقات بين دول الحوض البحر الابيض المتوسط، فهي نافذة الحوار والتبادل الثقافي والجسر الذي يمكن من خلاله تحقيق التواصل الفعال الذي يساهم في تطوير هذه المنطقة، من خلال "تجاوز الاحكام المسبقة المليئة بنزعة الاحتقار والتعالي، وكذا احتقار ثقافة الاخر والتباهي بالانا"[3]

[1] - شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي الواقع والتحدي في ضوء مقارنة احصائية واضحة الدلالة، المرجع السابق، ص 267.
[2] - سارة بوزرزور ،الترجمة وفعل المثاقفة، المرجع السابق، ص 122.
[3] - المرجع نفسه، ص 122.

رابعا - موقف طه عبد الرحمن من الترجمة:

لقد نالت الترجمة اهتمام المفكر المغاربي طه عبد الرحمن، احتلت مكانة كبيرة في اعماله خاصة مؤلفه فقه الفلسفة الذي يعد في معظمه يدور حول الترجمة وعلاقتها بالفلسفة، وهذا ان دل على شيء انما يدل على اهمية الترجمة والدور الكبير الذي تلعبه في التأسيس لفلسفة عربية اصيلة، ان طه عبد الرحمن يدعو الى ضرورة الاهتمام بالترجمة ويرفض الاعتقاد الكلاسيكي حولها، فالترجمة عنده ليست نقل المعارف من لغة الى لغة بل هي ابداع لابد ان يراعي شروط ومبادئ من اجل تحققه حيث يعرف الترجمة بأنها ليست مجرد نسخ للنص الاصلي الذي انتجه المؤلف فهي محاولة لتجاوز هذا النص وإبداع معاني جديدة لم تكن متضمنة فيه من قبل ذلك من اجل تفادي الوقوع في التقليد، فالترجمة التي يدعو اليها طه عبد الرحمن تجعل من المتلقي العربي الهدف المنشود فيجب عليها ان تراعي مقتضيات مجاله التداولي الذي له خصوصيات تجعله يتميز عن المجال التداولي الغربي، فالمؤلف الغربي هدفه هو "التأثير بوجه من الوجوه في المتلقي الذي يتكلم بلغته ويشاركه في مجاله التداولي، فكذلك ينبغي للمترجم ان يقصد التأثير بوجه ما في المتلقي الناطق بلسانه والمشارك له في مجاله"[1]، وفي هذه الحالة يمكن القول بان طه عبد الرحمن اراد ان يجعل مهام المترجم في مرتبة المؤلف فالمترجم في نظره هو منتج ايضا للمعاني والدلالات فينبغي لترجمته ان تراعي المقاصد كما يراعيها المؤلف في نصه الاصلي.

ان طه عبد الرحمن في بناء موقفه من الترجمة انطلق من نقد الترجمة الكلاسيكية التي سيطرت على الوعي العربي منذ قرون وبالتحديد منذ العهد العباسي الذي اشتهر بترجمة العلوم والمعارف اليونانية معتبرا هذه الترجمة تحصيلية لأنها ترجمة حرفية وهذا النوع من الترجمة لا يزال قائم حتى في الترجمات الحديثة والمعاصرة التي هي في نظره تتميز بالقصور فلا "يكاد يستثني طه عبد الرحمن من هذا القصور سوى ابن رشد الذي كان بينه وبين ابن طفيل حديث مشهور عن معالجة

[1] - طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل الى تاسيس الحداثة الاسلامية، المركز الثقافي الغربي،الدار البيضاء ،ط1، 2006، ص161 .

سقم الترجمات او ما سماها برفع قلق العبارة الفلسفية[1]، إلا ان المجهودات التي بذلها ابن رشد في مجال الترجمة لم تضف شيء جديد الى الفلسفة الإسلامية فقد اكتفت بترجمة نصوص ارسطو بإتقان .

يرى طه عبد الرحمن ان الفكر العربي مر بتجربتين في مجال الترجمة، حيث كان هناك تمايز واضح بين التجربتين لان التجربة الاولى كانت اكثر استقلالا من التجربة الثانية، فالأولى كانت فعل اختياري من اجل اثبات الذات اما بالنسبة للتجربة الثانية فقط كانت اضطرارية لأنها كانت تعكس الضعف الذب تعيشه الحضارة العربية الحديثة على نقيض التجربة الاولى وهو ما يؤكده طه عبد الرحمن بقوله "ان المتقدمين من اهل العربية مارسوا تجربة الترجمة الاولى، وهم في موقع قوة، اذ شرعوا في تأسيس هوية ثقافية وشخصية حضارية خاصتين بهم، بينما المتأخرون منهم يمارسون التجربة الثانية، وهم في موقع ضعف اذ يستولي عليهم شعور حاد بتخلف مجتمعاتهم ولد فيهم عقدا نفسية تهدد هويتهم وشخصيتهم "[2]، وبالرغم من ذلك فان التجربة الاولى كان مردودها افضل بكثير من التجربة الثانية لان الاولى كانت ناتجة عن حضارة تحتل الريادة في توجيه المعارف والعلوم على عكس التجربة الثانية التي تعيش حضارتها الانحطاط والتخلف الذي قادها الى التقليد والإتباع.

يدعو طه عبد الرحمن الى ضرورة تجاوز التقليد الاعمى الذي عرفته الترجمة الحديثة والمعاصرة من خلال سيرها على نهج الترجمات القديمة وذلك بهدف بلوغ الابداع الذي ابتعدت عنه الفلسفة العربية حيث يقول في هذا الصدد "الترجمة الفلسفية العربية وقعت في التقليد، مخلة بمقتضى الابداع من جهتين، اذ لا ابتكار فيها ولا جمال، وهذا هو بالذات السبب الذي جعل الشروح تتسلسل ولا تنتهي، وليس ذلك لعمق الافكار وجدتها، وانما لركاكة العبارة التي تجعل الافكار مستغلقة على الأذهان"[3]، وبالتالي فانه لا بد من التحرر من اليات الترجمة الكلاسيكية والسير نحو

[1] - طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2013، ص 67 .
[2] - طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل الى تاسيس الحداثة الاسلامية، المرجع السابق، ص150
[3] - طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، المرجع السابق، ص 69

فقه الفلسفة الذي يقوم على التأثيل والتأصيل العربي للألفاظ ومعانيها وذلك من اجل تحقيق الابداع الذي يمكن الفرد المسلم من تحقيق التجديد ومن ثم بلوغ التحديث .

يميز طه عبد الرحمن بين **ثلاث انواع من الترجمة**، او يمكن القول ان تاريخ الفكر العربي شهد ثلاثة انواع للترجمة، والتي تتمثل في **الترجمة التحصيلية والترجمة التوصيلية والترجمة التأصيلية**:

1) الترجمة التحصيلية: ويقصد بها الترجمة الحرفية للنص الاصلي من اجل المحافظة على مضمونه كما هو انطلاقا من الفاظ النص الاصلي، وعن هذا النوع من الترجمة يقول طه عبد الرحمن:"الترجمة التحصيلية تتوخى الحرفية اللفظية، بحيث لا لفظ من الفاظ النص الا ونقلته ، وقد تزيد الفاظها عن الفاظ النص الاصلي، ولكن الراجح ان لا تنقص عنها"[1] وبالتالي فان الترجمة التحصيلية تهتم بالترجمة الحرفية وحتى وان كان المعنى المضموني ليس له اي اهمية اي المهم ان تكون الترجمة الشكلية صحيحة حتى وان كانت تؤدي الى مضمون غير واضح وهذا النوع من الترجمة يرفضه طه عبد الرحمن فهي تمثل "الدرجة الصفر في الترجمة والتي لا ترضى كترجمة حتى في النصوص البسيطة القانونية والصحافية منها"[2]

2) الترجمة التوصيلية : وهي الترجمة التي تعطي اهمية كبرى للمضمون، اي انها تقوم على المعنى المضموني لا على المعنى الحرفي حيث يعرفها طه عبد الرحمن بأنها: " تتوخى الحرفية المضمونية، بحيث لا معنى من معاني النص الا نقلته، سواء طابقت الفاظها الفاظ النص الاصلي او باينتها، زيادة او نقصانا، لكن الراجح انها تباينها"[3] وهذا النوع من الترجمة اشتهر به ابن رشد الذي لقب بالشارح الاعظم لأرسطو، حيث يرى طه عبد الرحمن انه قدم من خلال ترجماته لأرسطو خدمة كبيرة للغرب لا للعرب، اي ان ترجمته لم تكن ابداعية وبالتالي لم تساهم في تطور الفكر العربي الاسلامي بل كانت سببا في الانتكاسة الابداعية التي أصابته، لكنها تبقى عند طه عبد الرحمن افضل من الترجمة التحصيلية.

---

[1] - طه عبد الرحمان، حوارات من أجل المستقبل، منشورات الزمن، دار الهدى للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2000، ص 109 .

[2] - طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، المرجع السابق، ص 72 .

[3] - طه عبد الرحمان، حوارات من أجل المستقبل، المرجع السابق، ص 109

3) **الترجمة التأصيلية**: وهي الترجمة التي تنظر الى المعنى واللفظ وتحاول التصرف فيهما معا لان " الترجمة التأصيلية تستبدل بتطويل العبارة الذي تقع فيه الترجمة التحصيلية، اختصارا فيها كما تستبدل بتهويل المعاني الذي تقع فيه الترجمة التوصيلية، تهوينا لها "[1] وهذا النوع من الترجمة هو المطلوب عند طه عبد الرحمن وهو النوع الذي يمكن العربي المسلم من الابداع في مجاله التداولي الذي من خلال مراعاته يحقق النبوغ في الفلسفة والفكر ويتخلص من التقليد والاتباع للآخر الغربي"فلا خروج من التقليد إلا بجعل المترجمات تحيا في فكر المتلقي، ولا حياة لها إلا اذا تم وصلها بأسباب موجودة اصلا في هذا الفكر"[2] وقد مارس طه عبد الرحمن هذا النوع من الترجمة على الكوجيطو الديكارتي ذاهبا في ذلك الان ان ترجمة مقولة ديكارت "انا افكر اذن انا موجود " ترجمة ركيكة وتحصيلية بعيدة كل البعد عن معناها الحقيقي وهو الذي توصل اليه طه عبد الرحمن في قوله :" انظر تجد"[3]

ان **الترجمة التأصيلية** عند طه عبد الرحمن تقترن في الاساس بالمجال التداولي العربي الاسلامي الذي يتمثل في "المجال اليومي بمقوماته ومحدداته قيما ومعارف ومشاكل وهموم وافاقا وما اليها من امور الواقع"[4]، فالترجمة التأصيلية في حالة ارتباطها بالمجال التداولي تصبح ترجمة استكشافية غايتها الكشف عن الاصل في كل فعل من افعال الترجمة فالاستكشاف "يقتضي تحمل المترجم لمسؤولية الاستقلال عن وصاية النص الذي يتولى نقله على لسانه اي ان يتحول هو الاخر الى مؤلف وليس مجرد مستنسخ"[5] ومن هنا تكون مهمة المترجم هي مهمة المؤلف لان الاول يسعى دوما الى ان يقدم للمتلقي ما يقدمه المؤلف لجمهوره، فالتأصيل اللغوي هو ما يمكن المترجم من تحقيق الاستقلال وبالتالي بلوغ الابداع الذي يعد الغاية من كل ترجمة .

خامسا - الترجمة والتأصيل الهوياتي عند طه عبد الرحمن :

---

[1] - المرجع نفسه ، ص467.

[2] - طه عبد الرحمان، حوارات من أجل المستقبل، المرجع السابق، ص 113 .

[3] - المرجع نفسه، ص 113

[4] - الزاوش يمينة، الفلسفة والترجمة دراسة تحليلية لدور الاقليات في ترجمة التراث العربي الاسلامي اليهود انموذجا، بحث اعد لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، 2014 / 2015 ، ص 156

[5] - المرجع نفسه، ص 157

ان ما يميز موقف طه عبد الرحمن من الترجمة هو ذلك البعد الهوياتي الذي تتمتع به الترجمة، لأنه يعتبر أي انشغال بالترجمة لا بد وان يرتبط بالهوية، لان المسلم العربي لا يمكن له ان يبدع خارج هويته ومجاله التداولي فالترجمة "لما تقدم الى الآخر ينبغي ان تراعي مقتضيات العقدية واللغوية والمعرفية للآخر، حتى يقدر على استيعابها، او على الاقل تفتح السبل لفهمها داخل المجال التداولي المنقول اليه "[1] فكل ترجمة هي تأكيد لهوية المترجم تتجلى فيها هوية المترجم والمتلقي معا لان المترجم عليه ان يراعي ثقافة المتلقي وعقيدته ولغته، حتى تحظى باهتمام المتلقي ولا تكون خلف ضياع هويته .

ان طه عبد الرحمن في حديثه عن الهوية في علاقتها بالترجمة يميز بين ثلاث انواع من الهوية اولها يتمثل في الهوية الصماء وهي التي تكون مبنية على نظرة الذات الى النفس والى الاخر حيث يقول انها " تتولد من النظر الى الذات بعين الذات والنظر الى الغير بعين الذات ايضا "[2]اما النوع الثاني فيتمثل في الهوية اللينة التي تعتمد على الغير في معرفة الذات كما تعتمد على الذات في معرفة الغير ويعرفها طه عبد الرحمن بأنها " تتولد من النظر الى الذات بعين الغير والعكس ايضا، أي النظر الى الغير بعين الذات "[3] والنوع الاخير يتمثل في الهوية المائعة التي تستند الى الغير في معرفة الذات وفي معرفة الغير ايضا ويقول عنها طه عبد الرحمن بأنها " تتولد من النظر الى الذات بعين الغير و النظر الى الغير بعين الغير كذلك[4]

وبالتالي فان المسلم العربي الذي يعتمد على ترجمة المعارف الغربية دون مراعاة مجاله التداولي فانه لا يملك إلا الهوية المائعة التي تقوم على الغير، أي يصبح المسلم العربي اسير لهوية الاخر التي تنعكس في منتوجاته الفكرية والفلسفية ومن خلال هذا تنصهر هويته في هوية الآخر ولكي تتحول الترجمة الى اداة تساهم في تفعيل الهوية يقول طه عبد الرحمن انه يجب ان تكون هذه الترجمة تأصيلية استكشافية لأنها تحمل المترجم دوما الى العودة الى الاصول واكتشاف ما يحمله النص الاصلي من معاني تتفق مع الأصول الخاصة بثقافته وفي هذا الصدد يقول طه عبد الرحمن :

---

[1] - طه عبد الرحمن ، الحوار أفقا للفكر، المرجع السابق، ص 71.

[2] - طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل الى تأسيس الحداثة الاسلامية، المرجع السابق، ص157 .

[3] - المرجع نفسه، ص 158

[4] - المرجع نفسه، ص 158.

"الترجمة التأصيلية التي اقول بها ليست إلا وصل المترجمات بهذه الاسباب الاصلية التي يحملها العربي في قلبه و عقله وينقلها الى اهله وخلفه والتي اسميها بالأسباب التداولية "[1] فالترجمة الاستكشافية في هذه الحالة يكون لها جانبان ايجابيان، الجانب الاول يتمثل في دراسة ما يتوفر عليه النص المنقول من افكار لان هذا النص يعبر عن ثقافته ويدل على المجال التداولي الذي صنع في وسطه، اما الجانب الاخر فيتمثل في التأصيل واضفاء الطابع العربي الاسلامي والعودة بالألفاظ العربية الى اصولها الأولى واعادة بعثها من جديد من اجل ان تواكب تطورات العصر وتكون قادرة على مسايرة التجديد وبلوغ التحديث.

ان كل عودة الى الاصل هو عودة الى الهوية وهذا ما تساهم الترجمة التأصيلية عند طه عبد الرحمن في تحقيقه، وبهذا لا يمكن ان تكون الترجمة وسيلة تبعية كما يعتقد البعض بل تصبح وسيلة فعالة في تفعيل الهوية وفي تحقيق الابداع الذي يكون قائم على مبدأ الاستقلال الذي اكد عليه طه عبد الرحمن في كتابه روح الحداثة من اجل بلوغ حداثة عربية تستمد مقوماتها من روحها لا من الحداثة الغربية .

خـاتمة:

مما تقدم يمكن القول ان الترجمة من بين الاليات التي لها تأثير كبير وخطير في توجيه الفكر من جهة وفي تحديد هوية الشعوب من جهة اخرى ،فقد مثلت قناة تواصل بين مختلف الحضارات والثقافات وذلك لاختلاف اللغات وهو ما نلمسه في الفكر المغاربي الذي سارع الى الاهتمام بالترجمة بهدف تحديد ابعادها والكشف عن الحلول التي تجعل من الترجمة وسيلة لإثبات الهوية بدلا من ان تكون سببا في ضياعها، فالمجهودات التي بذلها طه عبد الرحمن تعبر عن احد الاسهامات المغاربية في حوض البحر الابيض المتوسط، حيث اصبح من غير الممكن الحديث عن الترجمة المغاربية دون التطرق الى موقف طه عبد الرحمن من الترجمة العربية، فالترجمة في نظره تبقى ضرورية تسمح للفكر العربي عامة والفكر المغاربي خاصة من الانفتاح على ما توصل اليه الغرب والانطلاق منه في بناء معارف عربية تتفق والمجال التداولي العربي من اجل اكسابها صبغة عربية إسلامية، وعلى اساس هذا دع الى ترجمة تأصيلية استكشافية

[1] - المرجع نفسه، ص113.

تمنك المسلم العربي من الابداع دون الابتعاد عن هويته لان في التأصيل دوما عودة الى اللغة الاصلية وهي اللغة التي تقوم عليها هويته.

قائمة المصادروالمراجع:

1- قائمة المصادر:

1. طه عبد الرحمان، حوارات من أجل المستقبل، منشورات الزمن، دار الهدى للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2000.
2. طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2013.
3. طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل الى تاسيس الحداثة الاسلامية، المركز الثقافي الغربي،الدار البيضاء ،ط1، 2006

2- قائمة المراجع:

1. احمد الشيخ ، من نقد الاستشراق الى نقد الاستغراب المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية ، القاهرة، ط 1 ، 2000 .
2. سوزان باسنت، دراسات الترجمة، ترجمة: فؤاد عبد المطلب، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012.
3. عبد السلام بنعبد العالي، رهانات الفلسفة العربية المعاصرة، ندوات ومنظمات، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ط 1، 2010.
4. محمد اركون، الاسلام، اوروبا، الغرب رهانات المعنى وارادات الهيمنة، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط 2 ، 2001 .
5. محمد اركون، من فيصل التفرقة الى فصل المقال– اين هو الفكر الاسلامي المعاصر؟، ترجمة : هاشم صالح ،دار الساقي ، بيروت ، ط 2 ، 1995 .
6. محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة مدخل الى مبحث دراسات الترجمة، الشركة العالمية للنشر – لونجمان، مصر، ط 1، 2003.

3- قائمة المجلات:

1. بسام بركة، الترجمة الى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، مجلة تبين، العدد لاول، فصلية، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ، صيف 2012.
2. شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي الواقع والتحدي في ضوء مقارنة احصائية واضحة الدلالة، سلسلة دراسات الترجمة ، العدد 1423 ، المركز القومي للترجمة، ط 1 ، 2010 .

4- قائمة الرسائل الجامعية:

1. الزاوش يمينة، الفلسفة والترجمة دراسة تحليلية لدور الاقليات في ترجمة التراث العربي الاسلامي اليهود انموذجا، بحث اعد لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، 2014 / 2015 .
2. سارة بوزرزور، الترجمة وفعل المثاقفة، بحث اعد لنيل شهادة الماجستير، قسم الترجمة، جامعة وهران، 2009 / 2010.